

الأمثل في تفسير كتاب الإن المنزل

[382] ملاحظتان 1 - هل أن القلب هو مركز الإحساسات؟ ظاهر الآية الأولى من هذه الآيات، كما هو ظاهر بعض آيات أخرى من القرآن، أن مركز الأمراض الأخلاقية هو القلب. إن هذا الكلام يمكن أن يعارضه في البداية هذا الإشكال، وهو أننا نعلم أن كل الأوصاف الأخلاقية والمسائل الفكرية والعاطفية ترجع إلى روح الإنسان، وليس القلب إلا مضخة أتوماتيكية لنقل الدم وتغذية خلايا البدن. هذا حق طبعاً، فإن القلب له وظيفة إدارة جسم الإنسان، والمسائل النفسية مرتبطة بروح الإنسان، لكن توجد هنا نقطة دقيقة إذا ما لوحظت سيّدّح رمز هذا التعبير القرآني، وهي أن في جسم الإنسان مركزين كل منهما مظهر لبعض الأعمال النفسية للإنسان، أي أن كلا من هذين المركزين إذا تأثر بالإفعالات النفسية فإنّه سيظهر رد الفعل مباشرة: أحدهما المخ، والآخر القلب. عندما نبحت المسائل الفكرية في محيط الروح، فإن انعكاس ذلك التفكير سيّدّح فوراً في المخ، ويتعبّر آخر فإنّ المخ آلة تساعد الروح في مسألة التفكير، ولذلك فإنّ الدم يدور بصورة أسرع في المخ في حالة التفكير، وتتفاعل خلايا المخ بصورة أكبر، وبالتالي سوف تمتص كمية أكبر من الغذاء وترسل أمواجاً أكثر. أمّا عندما يكون الكلام والبحث حول المسائل العاطفية كالعشق والمحبة، والتصميم والإرادة والغضب والحقد والحسد، والعفو والصفح، فإنّ نشاطاً عجيباً يبدأ في قلب الإنسان، فأحياناً تشدّ ضرباته، وأحياناً تقل إلى الحد الذي يُظنّ معه أنّّه سيتوقف عن العمل، ونشعر أحياناً أن قلبنا يريد أن ينفجر. كل ذلك نتيجة للارتباط الوثيق للقلب مع هذه المسائل. لهذه الجهة ينسب القرآن المجيد الإيمان إلى القلب، فيقول: (ولما يدخل الإيمان